موقع بناصا الأثري من الأصول إلى الجلاء الروماني

المؤلف : د. سيدي محمد العيوش
الناشر: Rabat Net Maroc
تاريخ النشر: الطبعة الأولى ٢٠١١
عدد الصفحات: (٣٣٤) - الحجم المتوسط (١٧ × ٢٤)

عرض
د. سيدي محمد العيوش
أستاذ التاريخ بالمدرسة العليا للأساتذة
الرباط - المملكة المغربية

الكتاب مقسم إلى ثلاثة أبواب:
الباب الأول: المظاهر التنظيمية والمعمارية والفنية لمدينة بناصا
الباب الثاني: الحياة الدينية والاجتماعية
الباب الثالث: المعطيات الاقتصادية
ملحق: نقائش المدينة

تقع مدينة بناصا إحدى مدن المغرب القديم على الضفة اليسرى لنهر سبو ، و تبعد بحوالي ١٧ كلم عن مدينة مشرع بلقصيري ، وبحوالي ٣٠ كلم عن المحيط الأطلسي ، تم تحديد موقعها من طرف الباحث شارل تيسوTISSOT وهي إحدى المستوطنات الرومانية التي أقامها أوكتافيوس في موريطانية. يندرج الاهتمام بموقع بناصا ضمن تحديد الأهمية التي كانت له ضمن مواقع المغرب القديم ، خاصةً وأن اختيار هذه النقطة من طرف الرومان لإقامة مستوطنة رومانية نابع من الأهمية الإستراتيجية والاقتصادية التي كانت له داخل مجال المغرب القديم ، على أنه لابد من الإشارة إلى أن إقامة هذا الموقع لا يرتبط بالوجود الروماني في المنطقة ، بل إن الكثير من الدلائل تشهد على وجود استقرار يعود إلى فترات سابقة عن القرن الثالث قبل الميلاد. وبالتالي فإننا سنميز في دراسة الموقع بين مرحلتين أساسيتين مرحلة سابقة عن الوجود الروماني ومرحلة رومانية. إن وجود المدينة في منطقة سهلية وعلى ضفة واد سبو مؤشر إيجابي ساعد على امتداد مجالها وازدهارها على الرغم من وقوعها في الداخل ، هذا ما يعكسه تنوع اللقى وكذا المآثر العمرانية التي استدعت جلب قطع الأحجار من جهات خارج مجال سهل الغرب.

الجوانب المعمارية

لقد كان الاعتقاد السائد قبل منتصف القرن العشرين أن موقع بناصا لم يعرف استقرارًا سابقًا عن الوجود الروماني ، غير أن عددا من الاستبارات أكدت عكس هذا الطرح. إن المشكل المطروح بحدة في بناصا هو كون المنطقة ، كانت ولمدة طويلة عرضة للفيضانات والتوضعات المتوالية ، وهو ما جعل المستويات القديمة مطمية تحت الإرسابات[١]. ورغم ما يعطى لهذه الإرسابات من أهمية في الغرب كما هو وارد في بعض الدراسات السابقة ، فإن بعض الدراسات الحديثة[٢] حاولت التأكيد على أن هناك استقرارًا نسبيًا في الغرب ، حيث أن تلك الإرسابات تبقى محدودة في المكان واستثنائية في الزمان ، وبالتالي يمكن الشك في أهمية السمك الذي ستعطيه ، خاصةً إذا أخذنا بعين الاعتبار شساعة المجالات المنبسطة لسهل الغرب.

ارتبط هذا السكن في بدايته بنشاط حرفي يتعلق بإنتاج الفخار كما يدل على ذلك وجود عدد من الأفران ، إلا أن المسألة التي لا زال يعتريها كثير من الغموض هي التي تهم النواة الأولى للاستقرار بالمدينة ، حيث تضاربت الآراء حول تحديد موقعها في الجهة الشمالية أو في الجهة الجنوبية ، ويظهر أن الميل إلى أحد الرأيين لا ينطوي على كثير من الصواب في غياب حفريات خاصة و أن عملية الجرد الجيوفيزيائي قد أكدت امتداد الموقع.

وتبقى لحد الآن معلوماتنا عن الفترة المورية منحصرة في نتائج الاستبارات التي عرفها الموقع خلال نهاية الخمسينات من القرن العشرين استبارات ١٩٥٥ و ١٩٥٦ ودراسة سيلفي جرارS.Girard التي قامت بتجميع نتائج استبارات سابقة والاستبارات التي يعرفها الموقع في قسمه الجنوبي في السنين الأخيرة من طرف بعثة مغربية فرنسية.

المدينة الرومانية

تتخذ مستوطنة بناصا في وضعيتها الحالية شكلاً طوليًا من الشمال إلى الجنوب ، حيث تظهر أغلب المباني متركزة على الواجهة الغربية للكاردو الرئيسي (الشارع الرئيسي العمودي) ويظهر أن تخطيط المدينة بالنظر إلى شكله الحالي ، مثله مثل غيره من المدن ، قد روعي فيه اعتبار عنصري الموقع والموضع. فالمدينة تم تشييدها على ضفة نهر سبو ، الذي تحدثت المصادر الأدبية عن صلاحيته للملاحة ، أما موضعها ، ففي سهل منبسط وعلى ضفة النهر ، الذي يستغل كوسيلة ملاحية ودفاعية ، هذا مع اعتبار الطرق البرية التي تربط المدينة بمدن أخرى مجاورة[٣] ، كل ذلك كان من عوامل ازدهار هذا الموقع.

غير أننا لا نتوفر على التصميم الكامل للمدينة ، وذلك لكون الحفريات لم تكشف إلا عن جزء من المدينة ، كما أن السور الذي يحيط بها ، والذي من شأنه أن يمنحها اتجاها يحدد لنا الشكل النهائي للمدينة ، لا نتوفر منه إلا على جزء في الناحية الجنوبية الغربية ، وجزء آخر كشفت عنه عملية الجرد الجيوفيزيائي في الجهة الجنوبية الشرقية. فما هو شكل المعمار السائد في المدينة ؟

دورية إلكترونية محكمة. ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

هناك محور متعامد ، تم هناك تقاطع شوارع شمالية جنوبية وأخرى غربية شرقية بزوايا قائمة ، وتمكن نظرة عامة على تصميم المدينة من القول بأن هناك نوعًا من الانتظام ، ذلك أن عددًا من البنايات تسير في اتجاه متوازي مع الطريق كما يظهر بالنسبة للشارع الرئيسي(الكاردو) مع مجموع المنازل ، فبنايات المدينة تنتظم في وحدات سكنية تتخذ أشكالاً مستطيلة ، محاطة في جوانبها الأربعة بشوارع متوازية ومتقاطعة.

تتوسط المدينة ساحة عمومية تتخذ شكلاً منحرفًا وإلى جانبها يوجد معبد متعدد المقصورات ، إضافةً إلى محكمة. كما تشتمل المدينة على أربعة حمامات عمومية تختلف من حيث المساحة ، أما باقي البنايات فهي عبارة عن منازل للسكن[٤] ، أو محلات تستغل لأغراض تجارية وصناعية.

– الساحة العمومية:

عرفت هذه البناية عدة تطورات ، إذ كانت في البداية عبارة عن ساحة تضم سوقًا يتردد عليه السكان لقضاء حاجياتهم اليومية ، ليصبح مع مرور الزمن ساحة المدينة الوحيدة وقلبها النابض.[٥] فمن مجال يتجمع حوله التجار في البداية إلى إقامة دكاكين واستعمال صف الأعمدة في فترة لاحقة. هذا التطور الذي عرفته هذه الساحة سيكتسي خصوصيات اختلفت حسب تصاميم المدن ، إذ سنجده يتوسط المجال الحضري في المدن ذات التصميم المستطيل عند التقاء الديكومانوس والكاردو ،[٦] غير أن هذه القاعدة ستعرف بعض الاستثناءات.[٧]

فوروم المدينة أو ساحتها عبارة عن ساحة مستطيلة لم يتم تحديدها بدقة ، وقد اعتبرها توفنو[٨] شبه منحرفة (٣٨م و٣٤م كقاعدة وارتفاع ٣٨م) ، وهو يقترب من فوروم دجميلة وسبيطلة.[٩] ومن مميزات ساحة المدينة العمومية أنها أقل اتساعًا في جهتها الشمالية الشرقية ، و يلاحظ أن المعايير التي وضعها فيتروفيوس لإقامة هذه الساحات لم يتم احترامها في فوروم المدينة ، إلا أن هذه المسألة تنسحب على العديد من المدن ، حيث تؤثر في تخطيط هذه الساحات اعتبارات محلية غالبًا ما تكون مجالية.

– البازيليك:

تمتد بازيليك المدينة على الواجهة الشمالية للفوروم ، حيث تتخذ شكلاً مستطيلاً مساحته ٩٤١,٠٦م^2 وبذلك فهي دون مساحة بازيليك وليلي التي تصل إلى ١٠٠٠م^2 والتي مقارنةً مع بناصا لم تشأ إلا خلال مرحلة لاحقة. تنفتح البازيليك على شارع بواسطة فتحة واسعة ، أرضيتها من بلاطات سميكة من الرخام الأبيض ، أما الجدران فمن أحجار كبيرة تحيط بها ركائز.[١٠]

– المعبد:

كانت كل مدينة توضع تحت حماية الآلهة لذا كان من اللازم توفير مقر لها ، والذي يشترط فيه أن يوضع على نقطة مرتفعة نظرًا لكون الاعتقاد السائد هو أن حماية الإله لا تتم بطريقة محكمة إلا على المجال الذي يمكن رؤيته.[١١] غير أن هذه المعابد اختلفت عبر الزمان والمجال في مكوناتها وهندستها. وقد صنف معبد بناصا ضمن المعابد الموريطانية التي تم الكشف عنها في عدة مواقع قديمة ، وهو اقتراح سبق أن تقدم به ج.بوب.[١٢] ينتصب هذا المعبد على بوديوم يتم الارتقاء إليه بأدراج جانبية ، يتخذ شكلاً منحرفًا ويتوفر على ست مقادس cellae تشغل تلثي المساحة ، في حين أن مقدمة الهيكل Le Pronaos فلها عمق ٤,٥٠م. يبقى الإشكال المطروح هو هل يمكن أن نعتبر هذا البناء كابتول المستوطنة ؟

– حمامات المدينة:

شكلت هذه البنايات موضوع عدد من الدراسات ، وتعتبر دراسة ر. توفنو و أ. لوكي أقدمها ، بل والوحيدة التي نتوفر عليها لحد الآن حول هذه البنايات ، غير أن البعض من هذه الحمامات تعاد دراسته من جديد ومع ذلك فإن النتائج لا زالت لم تظهر رغم مرور ما يزيد عن عقد من الزمن. فكل الحمامات التي كشفت عنها الحفريات لحد الآن في موقع بناصا هي مؤسسات عمومية ، وعددها أربع تتركز كلها في الجهة الغربية وهي كالتالي: (حمامات الغرب الكبيرة - وحمامات الشمال- وحمامات الغرب الصغيرة- وحمامات ذات الصباغة الحائطية).

تميزت حمامات المدينة بتواضع مساحاتها مقارنة مع حمامات مدن أخرى ، وعلى ذلك يظهر أن لعنصر المساحة دور ليس فقط في عدم وجود حمامات خصوصية ، ولكن كذلك في تنوع التصاميم فقد كان أكثرها شيوعًا هو التصميم المحوري أو التصميم الخطي. إن هذا العدد المهم من الحمامات مقارنة مع المساحة التي كشفت عنها الحفريات يعكس وجود ساكنة مهمة نسبيًا تسكن المدينة والتي يمكن أن تضاف إليها ساكنة بادية بناصا ، والتي من دون شك أنها كانت تتردد على هذه الحمامات خلال فترات معينة.

– العمارة الخصوصية "المنازل":

يميز فيها بين نوعين من المنازل: منازل ذات باحات معمدة ، وأخرى تتخذ أشكالاً تختلف حسب المساحة. ومن نماذج المنازل ذات الباحات المعمدة في بناصا نورد ، في الحي الشمالي ، منزل جني الخصوبة الذي تتوسطه باحة معمدة مساحتها ٢٤٠ م^2 مهدمة في جزئها الشمالي ، وقسم من الجزء الجنوبي الشرقي ، وتزين إحدى غرف هذا المنزل فسيفساء تظهر منها رصيعة تمثل سمامة جني الخصوبة ، يظهر عليها وجه صارم ملتفت إلى اليسار يمسك قرن الخصوبة الذي يوجد على كتفه ، ومن هذا القرن تخرج أزهار وثمار ، ويتضح من العلاقة بين البهو وقاعة الأكل في هذا المنزل وجود محور منحرف.

من المنازل الأخرى ذات الباحة المعمدة منزل نقد يوبا الذهبي فله شكل رباعي مضلع يتوفر على بابين أحدهما للراجلين ، والأخر للعربات ، وهو من المنازل الفريدة في بناصا التي تتوفر على بابين في حين أن الأمثلة كثيرة في وليلي وقد يكون لذلك علاقة بمساحة المنزل. إلى جانب هذه البنايات ذات الباحات المعمدة ، يمكن التعرف على نماذج سكنية أخرى ، نورد منها الأشكال التالية والتي نقدمها في بعض البنايات:

المنزل ذو الممر: في أقصى الجنوب ، له شكل طولي يتوسطه ممر ، تمتد على جانبيه مجموعة غرف يصعب تحديد وظائفها ولو أن انفتاح بعضها على الشارع يوحي بوظيفتها الاقتصادية. تضم بعض جدران هذا المنزل مواد معادة الاستعمال مما يوحي بأنه قد عرف تطورًا خلال تاريخه ، نجد مثل هذا النوع من المنازل في العديد من مدن موريطانية الطنجية. يطرح هذا النوع من المنازل إشكالاً في تاريخ العمارة ، ويخص مسألة ما إذا كان المنزل ذو الممر تقليدًا في فترة من فترات المدينة بحيث يوجد منزل ذا ممر وإلى جانبه منزل ذا باحة معمدة ، أم أنه متقدم شيئًا ما عن المنزل ذو الباحة ، خاصة وأننا نعلم

دورية إلكترونية. محكمة. ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

في حالات متعددة أن المنزل كان في الأول منزلاً ذا ممر وتحول فيما بعد إلى منزل ذا باحة معمدة.

بناية ذات الاتجاهين: من البنايات الأخرى التي نقف عليها ، ما يمكن تسميته بالبناية ذات الاتجاهين ، بناية متميزة ذات شكل مربع لواجهاتها الخارجية وتحتوي على ما يشبه "أبراج" يصعب تحديد وظيفتها. أهم ما يميز هذا البناء أنه الوحيد في بناصا الذي استعمل فيه حجر الشيست ، وتبين من معاينة هذا البناء أنه قد بني على مرحلتين إحداهما تساير الاتجاه العام للمدينة.

إن ما يمكن أن نقوله عن منازل بناصا باختلاف أنواعها أنها بخصوصياتها المحلية تبقى أكثر تشابها مع منازل وليلي وتمجاد ، فالمنازل الرفيعة قليلة في بناصا مقارنة مع وليلي ، وهذا أمر طبيعي بالنظر لرقعة المدينتين ، كما أن المهندسين لم يتدخلوا في بنائها بل قاموا فقط بتوزيعها في مجموعات تقع بين عدة محاور[١٣] ، وهذا ما يفسر اختلافها من حيث الاتجاه و توزيع القاعات.

الحياة الدينية

أما الجانب الديني ، فيمكن رصده من خلال النقائش والتماثيل البرونزية ، أو الرخامية التي وجدت في المدينة ، وبذلك نميز بين العبادات الإغريقية الرومانية ، ممثلة في عدد من الآلهة مثل: جوبتر ، وجنون ، ومينيرف ، وميركور ، وباكوس ، وأبولون ، وفينوس. أما بالنسبة للعبادات الشرقية فيمثلها وجود عدد من الآلهة من بينهم سيبل (Cybèle) ، وإيزيس(Isis).

بالنسبة لسيبل تظل بناصا الموقع الوحيد الذي كشفت فيه الحفريات عن دليل مادي له علاقة بهذه المعبودة. يتعلق الأمر بنقيشة عثر عليها أثناء حفريات ١٩٥٤ ، عبارة عن إهداء ، تحية للإمبراطورية[١٤] وفيه يقدم دومفيرين معبدًا لسيبل ، قد يكون أحد أسلافهما حصل على الرومنة منذ عهد كلود[١٥] ، كما أن النص يكشف لنا عن أخوين كانا مكلفان بالإشراف على عمليات البناء ولا نجد فيه إشارة لهبات خاصة ، مما قد تفيد أن بناءه قد اعتمد فيه على نفقة المجلس المحلي[١٦].

أما إزيس فممثلة بنقيشة هي عبارة عن إهداء للإلهة[١٧] من طرف معتق ، وهذا الإهداء هو عبارة عن مدبح من الرخام عثر عليه بجانب الفورم يؤرخ بالقرن الثني والثالث حسب فيدمان VIDMAN (L.)[١٨].

إن دخول هذه العبادة الشرقية وانتشارها بصفة خاصة في موريطانية الطنجية ، وكما عبر عن ذلك كثير من الباحثين ، كان على يد الملكة كليوباترا سيليني وهو ما لخصه ر.توفنو فيما يلي: "ليس هناك ما يثير الاستغراب في أن الأتباع تبنوا عبادة الملكة كليوباترا ، وعندما تنشر الديانة الشرقية في الإمبراطورية ، فإنها تجد في بناصا الأرض المناسبة".[١٩]

أما العبادات المحلية ، فيمثلها نصب وحيد وجد بين أنقاض المخلفات الأثرية ، وهو ما يطرح معه أكثر من علامة استفهام ، خاصةً وأنه في وليلي تم العثور على مئات من هذا النوع ، لذا فإن هذه الندرة تطرح أمام الدارس مجموعة من الصعوبات ، وبالتالي تجعل باب التأويل مفتوحًا لمحاولة تقديم فكرة عن دلالة وجوده ، خاصةً وأن غياب نقيشة يمكنها أن تساعد في تحديد هذا النصب تزيد من صعوبة الأمور.

الحياة الاجتماعية

بالنسبة للحياة الاجتماعية يمكن التمييز بين ساكنة المدينة خلال الفترة المورية وساكنتها خلال الفترة الرومانية. إن المعطيات التي نتوفر عليها في شأن ساكنة المدينة خلال هذه الفترة تبقى في غالبها شبه منعدمة ، إلا ما كان من أمر النقيشتين التين أوردهما غالان في مجمعه واللتين تخصان شخصًا ليبيًا يدعى شنان(SNN).

فقد وجد هذا الاسم منقوشًا على قطعتي فخار في الفرن رقم ١ سنة ١٩٥٥ ، غير أن الاعتماد على بعض اللقى قد يمكننا من تلمس وجود ساكنة محلية من خلال وجود خزف محلي مصبوغ بزخارف متنوعة ، تمت الإشارة إلى مثيلات لها على قبور ليبية ، وإذا أضفنا إلى قطع هذا الفخار المصبوغ تعدد الأفران في موقع بناصا ، فإن ذلك يقودنا إلى الحديث عن وجود ساكنة محلية تعاطت هذا النشاط الحرفي خلال هذه الفترة من تاريخ الموقع ، علاوةً على هذا يمكن أن نظيف بعض الحلي الذهبية التي تم الكشف عنها خلال الحفريات ، والمتمثلة في رصيعة من ذهب ، وأقراط تعود إلى القرن السادس والخامس قبل الميلاد.[٢٠]

– ساكنة بناصا خلال الفترة الرومانية:

من خلال جرد النقائش التي وجدت بالموقع ، يلاحظ اختلاف في العدد بالنسبة لكل مجموعة ، فالأفارقة يمثلون نسبة ٣٩,١٣% يليهم الأشخاص الذين صعب تحديد أصلهم بنسبة ٣٣,٣٣% ثم المشارقة حيث كانت أغلب النقائش التي وردت عليها أسماء هؤلاء عبارة عن شهادات عسكرية ، يمثلون ١٣,٠٤% من مجموع السكان ، وفي الأخير نجد الأوربيين بنفس النسبة.

المعطيات الاقتصادية:

فرض تناول الجانب الاقتصادي في بناصا التعامل مع مجموعة من الآثار المادية إضافة إلى بعض الإشارات الواردة في النصوص وإن كانت تكتسي طابع العمومية. لقد كان اختيار مستوطنة بناصا داخل البلاد ووسط واحد من أخصب السهول المغربية يدخل ضمن إستراتيجية عسكرية واقتصادية. وعلى هذا الأساس فإن إقامة بناصا في منطقة سهلية خصبة مرتبطة بتوفير مجال لاستقبال وتوطين عدد من الجنود المتقاعدين خاصةً بعد انتهاء الحروب الأهلية[٢١] ، وهو ما يؤكده العدد المهم من الشهادات العسكرية التي وجدت في بناصا ، فنحن هنا أمام مستوطنة همت مجالاً فلاحيًا واسعًا على ضفتي سبو.

– الآثار المادية المرتبطة بالإنتاج الزراعي:

الأرحية: كشفت الحفريات في موقع بناصا عن أربعة عشر رحى يميز فيها بين أرحية من أحجام كبيرة وأخرى من أحجام صغيرة ، إضافةً إلى أن توزيعها غير متكافئ داخل الموقع إذ تتركز تسعة منها في القسم الشمالي للمدينة ، الضفة الشمالية للدوكومانوس الرئيسي ، وستة في الأنسولات الأربعة ، مقابل واحدة في الماكلوم؟ وإثنتين في الحي الشمالي. يضاف إلى هذه الأرحية ، أرحية أخرى ذات حجم صغير وجدت داخل بعض المنازل ، مما قد يوحي بأن كل بيت كان يقوم بطحن وعجن خبزه. وجدت أغلب هذه الأرحية في الحي الشمالي الشرقي أي فيما يمكن تسميته بالحي الحرفي ، وذلك باعتماد عدد الأرحية والمخازن التي وجدت فيه.

دورية إلكترونية. محكّمة. ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

المخابز: اعتبرت المخبزات صنفًا ثانيًا من الدكاكين يمكن التعرف عليها من خلال مرافقها المتمثلة في الفرن والمعجن والرحى ، غير أنه لا بد من الإشارة إلى أن هذه المخابز قد تضم كذلك مرافق أخرى كالمخازن ودكاكين بيع الخبز ، وفي هذه الحالة سنكون أمام مخبزة عمومية ، ويمكن التعرف عليها من خلال ضخامة المطحنة. وفي مقابل هذه المخبزات العمومية وجدت مطاحن أخرى داخل بعض منازل المدينة تميزت بصغر حجمها وهو ما يفيد الاستعمال المنزلي لهذا النوع. ومن بين المخابز التي وجدت بالمدينة ، مخبزة الحي الجنوبي الغربي ، عبارة عن غرفة طويلة مرتبطة بمنزل فينوس ، مبلطة في جزء منها بمربعات من الآجر يمكن أن نرى فيها قاعدة فرن ، كما وجد معجن من بين الأدوات الأخرى التي وجدت داخل هذه الغرفة.

معاصر الزيتون: لقد بلغ عددها[٢٢] إحدى عشر معصرة تمثلها عشرة ثقالات مقنطرة ، وثقالة أسطوانية ، تتوزع في الموقع بشكل غير متكافئ.[٢٣] يضاف إلى هذه العناصر وجود مجموعة من الصهاريج الصغيرة التي يمكن ربطها بمعاصر الزيتون ، ومن هذه المعاصر معصرة أنسولا ، ومعصرة بجوار حمامات الغرب الكبيرة.

تربية الماشية والصيد: وفرت المؤهلات الطبيعية لسهل الغرب إمكانية قيام حياة رعوية نشيطة ، فوجود العشب والماء سهلا التنقل الموسمي للرعاة في مجال اشتهر بوفرة الغطاء النباتي وتربية الماشية منذ فترة بعيدة ، يضاف إلى هذا ما يمكن أن توفره المرجات من مجال رعوي خصب خلال الفترات التي ينحبس فيها المطر ويقع تبييس للأعشاب في مجالات أخرى.

لقد توفرت مجموعة من المخلفات المادية في هذا الوسط البيئي مكنت من الإقرار بوجود تربية للماشية في منطقة بناصا ، منها عدد من القرون والأختام لرشم القطيع[٢٤] ، وكذا قرون الأبقار التي تم العثور عليها في الاستبار الذي أنجز سنة ١٩٥٦ ، وعظام حصان في الحي الجنوبي بجوار البناية ذات الاتجاهين.[٢٥] وهو ما يمكن اعتباره مؤشر عن هذا النشاط ، وشهادة عن ازدهار تربية الماشية.[٢٦]

بالنسبة للصيد نشير إلى الأهمية التي كانت لواد سبو والذي كان شريان الملاحة في سهل الغرب ، وشكل خزانًا لثروة سمكية خاصةً منها ما يتعلق بسمك الشابل والذي لم يختف إلا خلال عهد قريب في ظل ظروف بيئية غير ملائمة. هذا النوع من السمك كان خلال العصر القديم يصدر مملحًا مجففًا ،[٢٧] وتنحصر اللقى الأثرية المرتبطة بهذا النوع من النشاط فيما كشفت عنه الحفريات من عشرات الصنانير البرونزية ذات الأحجام المختلفة كشفت عنها الحفريات القديمة في الموقع.[٢٨]

أما الصيد البري ؛ فتشهد عليه عدد من أنياب الخنازير التي عثر عليها أثناء الاستبارات التي تمت في وقت سابق في المدينة. ومن اللقى الأخرى المرتبطة بهذا القطاع هناك بعض قطع بيض النعام خاصةً في المستويات السفلى ممزوجة مع لقى أخرى.

صناعة الفخار: من الأنشطة الحرفية التي ازدهرت بالمدينة نذكر خاصةً صناعة الفخار ، والتي كانت تتم في أفران لا زالت تشهد على ذلك ، ونميز فيه بين خزف يدوي ومدولب. ويفيدنا النوع الثاني في التأريخ وفي الوقوف على عملية التبادل التجاري ، ونميز في هذا الصنف بين نوعين: الأواني المنزلية والأمفورات.

المبادلات التجارية

تمثلها اللقى الأثرية المتمثلة في الخزف والأمفورات والتي تمكن من رصد التبادل الجاري بين بناصا وجهات أخرى سواء داخل موريطانية الطنجية أو خارجها. فقد قطعت هذه المواد مسافات كبيرة بين مناطق إنتاجها ومناطق توزيعها ، إلا أن ما يثير الانتباه في شأنها ، هو هل كان وصولها إلى موريطانية الطنجية بصفة عامة وبناصا على وجه الخصوص يتم مباشرةً من مناطق الإنتاج أو عبر وساطة معينة.

المبادلات الداخلية والواردات:

رغم أن موقع بناصا مفتوح على المواقع المغربية والمتوسطية الأخرى ، إلا أن عناصر هذه التجارة تبقى غير محددة سواءً بالنسبة للصادرات ، أو الواردات إذ لا نعرف من مواد المراكز الأخرى إلا ما كان من أمر أمفورات موقع القواس وبعض الأمفورات الأخرى[٢٩] ، حتى وإن كانت الظروف الطبيعية من موقع وسهولة اتصال ، إضافةً إلى اللقى النقدية عوامل توحي بوجود علاقات نشيطة بين هذه المراكز وبين بناصا. إن عدم توفر معطيات دقيقة عن المناطق التي تستقبل منتوجات بناصا ، يجعل من الصعوبة بمكان التكهن بمجال انتشار هذا الإنتاج.

أما بالنسبة لواردات بناصا من هذه المراكز فتبقى غير معروفة ، ويحتمل أنها كانت من مواد تعرضت للتلف ، على هذا الأساس فإن تحديد السلع المصدرة من بناصا ، أو الواردة عليها يبقى أمرًا صعبًا.

– العلاقات التجارية الخارجية:

شواهد هذه التجارة هي عبارة مواد فخارية تم ضبطها في الموقع سواء كانت أواني منزلية أو مواد أمفورية ، لكن ما تجدر الإشارة إليه هو أن هذه التجارة لا تتمثل فقط في المواد على اختلاف أنواعها ، فقد وجدت إلى جانبها مواد أخرى نجهل طبيعتها ، على أن ما يهمنا في هذه المواد الفخارية ليس هذه الأواني والأمفورات ، ولكن ما تحمله من منتوجات يمكن أن تساعدنا على أخذ فكرة عن المواد التي تصل إلى الموقع وإلى موريطانية بصفة عامة من جهات مختلفة ، خاصةً وأن موقع بناصا كان يسهل اتصاله بالبحر ، وذلك عبر موانئ محيطية كليكسوس ليتصل ببقية موانئ البحر الأبيض المتوسط ، ويعود هذا الاتصال إلى فترات سابقة عن الوجود الروماني بالمنطقة.

لا يرتبط قيام موقع بناصا الأثري بالوجود الروماني في المنطقة فقط ، بل إن الكثير من الدلائل تشهد على وجود استقرار ربما عاد إلى فترات متقدمة عن القرن الخامس قبل الميلاد. كما كشفت الحفريات في هذا الموقع أيضًا عن مخلفات لمؤسسات تنم عن ازدهار عمراني واجتماعي واقتصادي لهذا الموقع خلال الفترة الرومانية.

دورية إلكترونية. محكّمة. ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

الهوامش

(١) ذهب لوكوز في أطروحته إلى أن الآثار الأولى لوجود الإنسان مؤكدة في الطبقة الرملية التي تلي مباشرة التكوين الطيني الملاحي ، حيث يتعلق الأمر بفخار قد يعود للقرن الأول قبل الميلاد.

(٢) انظر مثلاً مقال إدريس الفاسي:

FASSI (D.), A propos du repérage archéologique dans une plaine d'inondation : la du Gharb, dans VI colloque international sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord (Pau octobre1993,118congrés), Ed. CTH1995, pp.292 - 297.

(٣) أنظر مقال عمار أكراز وآخرون:

AKERRAZ (A.), BROUQUIER-REDDE (V.), LENOIR (E.), L'occupation antique de la plaine de Gharb, dans VI colloque international sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord (Pau octobre1993,118 congrès), Ed .C.T.H.S , 1995, pp.235 - 291.

(٤) تنقسم هذه المنازل إلى منازل رفيعة ذات باحات معمدة ، تتكون من غرف تزينها أحيانا لوحات فسيفسائية ، وأخرى عادية تتكون من عدة غرف يتوسطها ممر.

(5) CAGNAT (R.), CHAPOT (V.), Manuel d'Archéologie Romaine, t.1, Paris, 1916, p.111.

(٦) شارعان رئيسيان أحدهما أفقي والآخر عمودي.

(7) GRIMAL (P.), Les villes romaines, Que sais-je, Paris,1961, p.57.

(8)THOUVENOT(R.), L'urbanisme romain dans le Maroc antique, Revista de la universidad complutense, dans Homenage à Garcia Bellido,18, 118, 1979, P.325

(9) BENBAAZIZ (S.), Les forums Romains en Tunisie- Essai de Bilan, Los Foros Romanos de las Provincias occidentales ,Madrid, 1987,P. 236.

(10) THOUVENOT (R.), Une colonie romaine Iulia Valentia Banasa, Paris 1941, p.12.

(11) GRIMAL(P.), Les villes, cit, p.21-22.

(12) BOUBE (J.), Documents d'architecture maurétanienne au Maroc, BAM,VII ,1967, p.340-352.

(13) THOUVENOT (R.), L'urbanisme romain dans le Maroc antique, dans Homenaje a Garcia y Bellido,4, Revista de la universidad comptulense, t. XVIII, 1979, p.345.

(١٤) حول عبارة (Prosalute) هناك من رأى فيها تحية روحية ، وهناك من أعطاها معنى الحفاظ على الأباطرة ، فأغلب الإهداءات قدمت تحية لهؤلاء:

- H. PAVIS-D'ESCURAC, La Magna, cit., p. 224.

(15) I.A.M., 2,93.

(16) H. PAVIS D'ESCURAC, La Magna, cit., p. 225.

(١٧) أن هذا العبد المعتوق يدعى لوكيوس أنطونيوس كاريطو ، وهو ينتمي إلى هيئة السيفيري: انظر I.A.M., 2,86

(18) VIDMAN (L.), Sylloge inscriptionum Religionis isiacae et Sarapiacae, Berlin, 1969, p. 333, n° 794.

(19) Ibid., p. 50 et 51.

(20) A.AKERRAZE.,TRUSZKAUSKI, De la d'élection, dans de l'Empire romain aux villes impériales, 6000 ans d'art du Maroc, Paris, 1990, p.116.

(21) R.REBUFFAT, Recherches sur le bassin du Sebou, «C.R.AI »., 1986 p.643 et 644.

(٢٢) نشير هنا إلى أننا سنعتمد على مصطلحين: معصرة عندما نكون أمام ثقالة وحوض أو حوضين ورحى ، وأداة معصرة عندما يتعلق الأمر بأحد هذه العناصر.

(٢٣) انظر: مقاربة لبعض مظاهر الحياة الاقتصادية في بناصا من خلال المواد الأثرية ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية العدد (٤)، ٢٠٠٤ كلية الآداب والعلوم الإنسانية القنيطرة ، ص.١٣٩-١٤٩.

(24) A. JODIN, Banasa et le limes méridional de la Maurétanie Tingitane, « Actes du 85ème congrès National des sociétés savantes », Reims, 1970, p.37.

(25) S. GIRARD, Banasa préromaine , un état de la question, « Ant.afr » , 20 , 1984 , p.36.

(26) A.JODIN, Banasa et le limes, cit., p.37 ; S. GIRARD, Banasa préromaine, cit , p.36.

(27) A. LUQUET, Contribution à l'Atlas archéologique « B.A.M. »,9, cit., p.250.

(28) R. THOUVENOT (R.), Une colonie, cit., p.54 et 95 ; S.GIRARD, Banasa préromaine, cit., p.36.

(٢٩) يتعلق الأمر بأمفورات الكاروم قواس I و قواسII و قواسIII و قواس IV ، وكذلك أمفورات دريسل ٧-١١ (Dr.7-11)

الدكتور سيدي محمد العيوض في سطور:

من مواليد مدينة الرباط. دبلوم الدراسات العليا في التاريخ القديم بجامعة محمد الخامس – كلية الآداب والعلوم الإنسانية (الرباط – أكدال). دكتوراه في التاريخ القديم بجامعة مولاي إسماعيل – كلية الآداب والعلوم الإنسانية. عضو جمعية البحث التاريخي. عضو فريق البحث في مختبر منطقة الغرب الشراردة بني حسن ،كلية الآداب جامعة بن طفيل القنيطرة. عضو جمعية أصدقاء وليلي. له عدة مقالات في مجلات دولية ووطنية. شارك في عدة ندوات دولية ووطنية.

ISSN: 2090 – 0449 دورية إلكترونية محكمة. ربع سنوية